Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان أبو تمام يضيف إلى نسيبه أحياناً وصفاً لبعيره وما يقطع من الفلوات ، مستمداً من معانى القدماء فى هذا الوصف ومضيفاً طرائقه الحديثة ، كقوله يصف بعيره وما أصابه من هزال لطول رحلته به إلى خراسان ليمدح ابن طاهر :

رَعَتْهُ الفَيافِي بَعْدَ ما كانَ حِقْبَةً رَعَاهَا وَمَاءُ الرَّوْضِ يَنْهَلُّ سَاكِبُهْ(١٤٠)

فالصحراء بطرقها الوعثة كأنما هى التى رعته ، إذ أضمرته وأنحلته ، بينما كان يرعى أعشابها ، وهو تضاد بديع ، فهو يرعى الصحراء والصحراء ترعاه . وقد ألمّ بوصف الخمر فى بعض مقدماته للمديح ، وهو ليس ممن يجيدون فى وصفها ؛ لأنه لم يكن ممن ينغمسون فى إثمها ، وقد يلقانا عنده بعض أبيات طريفة فيها كقوله :

وضَعِيفَةٌ فإذَا أَصَابَتْ فُرْصَةً قَتَلَتْ كَذلكَ قُدْرَةُ الضُّعَفَاءِ
وكأنَّ بَهْجَتَها وبَهْجَةَ كأسِهَا نَارٌ ونُورٌ قُيِّدَا بِوِعَاءِ(١٤١)

وقد فسح فى مقدماته مراراً للحديث عن الشيب ، وكان قد وخطه فى سن مبكرة ، وهو لا يحاول تزيينه ، بل يعرف دائماً بأنه قبيح مكروه وخاصة فى عين المرأة ، ومن طريف ماله فيه قوله :

لَوْ رَأَى اللهُ أنَّ لِلشَّيْبِ فَضْلاً جاوَرَتْهُ الأَبْرَارُ فى الخُلْدِ شِيباً(١٤٢)

ولعل من الطريف أنه وقف بعض مقدماته للمديح على وصف الطبيعة ، وهو لا يبارَى فى تصوير مشاعر الطير وأحاسيسه ، ومن خير ما يمثل ذلك عنده تصويره لقُمْرية وقمرىّ وهما يرشفان رحيق الهوى بينما هو يتعمقه الحزن ، وكأنما ترثى له السماء فتستهل بروقها ورعودها ، والطبيعة من حوله مكتسية بثياب الربيع المشرقة والطواويس تومض بألوانها الزاهية وأذنابها المزركشة ، وكأنها خدم هذا العرس الرائع من أعراس الربيع(١٤٣) . ونراه فى إحدى

---

(١٤٠) المصدر نفسه ١ : ٢٢٢ .
(١٤١) المصدر نفسه ١ : ٣٠ ــ ٣٢ .
(١٤٢) المصدر نفسه ١ : ١٦١ .
(١٤٣) انظر القصيدة فى الديوان ٢ : ١٤٨ .